

النوروز مظهر الثقافة والحضارة بين الفرس والعرب

مهدي ممتحن*

الملخص

الحضارة والثقافة تتألف من المعتقدات والعادات التي بنيت علي يد أفراد المجتمع وتَسبب في قوامهم كشعب واحد؛ والأعياد تعتبر كجزء مهم من هذه الثقافة. فالإيرانيون من العصور القديمة كانوا يهتمون بالفرح ويحتفلون بالأعياد بأية مناسبة كانت؛ في بداية الشهور أو بداية الفصول أو بداية السنة. فالنوروز من أهم أعيادهم الذي كان يحتفل به علي شرف مجيء قدوم الربيع وكانت الأعياد النيروزية كدم تجري من جديد في عروق المجتمع ويعطيه نشاطاً مثل الطبيعة التي تحيا من جديد. فنحن في هذا المقال نتطرق إلي كيفية هذا الدخول واهتمام العرب به في إطار المنهج الوصفي - التحليلي. وكان من الشعراء العرب الذين اهتموا بالنوروز وبينوه بصراحة وصدق هو المتنبي وبين أنّ النوروز خير صلة بين الأمتين الفارسية والعربية وشارك إخوانه الفرس بهذا العيد السعيد ساهم أيضا في هذا الأمر الشريف الرضي وأعلن مشاركته مع أفراح الشعب الفارسي.

الكلمات الرئيسية: العيد، الفرس، الحضارة، النوروز.

١. المقدمة

العيد من حيث اللغة مشتقة من «العود» وهو البدء كما يقال «بدأ ثم عاد» كقوله تعالى:

* أستاذ مشارك في اللغة العربية وآدابها، جامعة آزاد بيجريفت dr.momtahn@gmail.com

تاريخ الوصول: ١٣٩٤/١/١٢، تاريخ القبول: ١٣٩٤/٤/١٦

«كَمَا بَدَأَكُمْ تَعُودُونَ فَرِيقًا هَدَىٰ وَفَرِيقًا حَقَّ عَلَيْهِمُ الضَّلَالَةُ...» (الأعراف: ٢٩)؛
والعيد والاعتیاد بمعنی التعود. أما العيد اصطلاحاً هو الشوق والاشتياق كما قال الشاعر:
«والقلب يعتاده من حبها عيد» (ابن منظور، ١٩٥٥: ٤٦٠).

وقال المفضل: عادني عيدي وأنشد هكذا: «عاد قلبي من الطويلة عيد»؛ وأنشد تأبط
شراً حول العيد قائلاً:

يا عيدُ مالِكٍ من شوقٍ وإيراقٍ ومرّ طيفٍ علي الأهوالِ طَرَّاقٍ

(الإصفيهاني، ١٩٥٧: ١٠٧)

والعيد عند العرب هو الوقت الذي يعود فيه الفرح أو الحزن، وكان في الأصل العود،
فلما سكنت الواو انكسر ما قبلها وصارت ياء، ليفرقوا بين الاسم الحقيقي والمصدر، وقيل
سُمِّي العيد عيداً لأنه يعود كل سنة بفرح مجدد.

وفي البدايه يمكن البحث حول الأعياد الفارسية، من حيث نشأتها وقدمتها وتأثرها
بالثقافات العريقة، لاتصالها باليونان والروم والهندوس.

الأعياد مجموعة من الطقوس التي تقام لمناسبة معينة ولها سمات معينة التي تنبع من
الآداب والسنن الشعبية في كل من المجتمعات. طبعاً للأعياد صلة وثيقة بالدين في كل
المجتمع. فعيد النيروز كان من أهم الأعياد في بلد إيران القديم وقبل دخول الإسلام الذي
كان يقام علي شرف مجيء قدوم الربيع وكانت له عادات تنبع من السدين الزراتشتية
(ابن منظور، ١٩٥٥: مادة «ع»). فبعد الإسلام بقي هذا العيد علي أهميته لأنه كان
علي مناسبة طبيعية وهو مجيء الربيع. لكنه أضيف عليه بعض من التقاليد الإسلامية.

كلما ازدادت سيطرة الإيرانيين علي بلاط الخلفاء العرب كانت أهمية النيروز
مشهودة وخاصة في العصر العباسي الذي اتسع فيه النفوذ التركي والفارسي. وانتشر
الإيرانيون الفرص لهذا العيد من طرق شتوي لنيل هذا الغرض والتأثير علي الذوق الشعري
العربي. فكثير من الشعراء الإيرانيين اقترنوا مدح الخلفاء مع الوصف واستطاعوا أن
يزيدوا من شأنه في البلاط. والشعراء العرب أيضاً دخلوا في هذا النمط والسياق وتعرفوا
بهذا العيد الجميل.

فإنَّ اهتمام العرب بهذا العيد يعتبر كنوع من التفاعل الثقافي بين الإيرانيين والعرب، ونحن في هذا المجال نتكلّم عن هذا التأثير، وعن كيفية وصف هذا العيد علي لسان الشعراء العرب. ثمّ نتطرّق إلي آثار الاحتفال به في المجتمع الإسلامي آنذاك.

فالبحث بعد دراسة نماذج شعرية المرتبطة بالنوروز يجيب علي سؤالين هما:

— كيف تجلّي النوروز بين الأدبين الفارسي والعربي؟

— كيف أدّي النوروز إلي ايجاد الصلة بين الحضارتين العربية والفارسية؟

٢. النوروز أو النيروز

النوروز لغة فلفظه مركب من كلمتي «نو» بفتح النون وضمها، ومعناه «الجديد» ولغة «نو» هي مستعملة في كثير من اللغات الأوروبية التي أصلها آرية مثل كلمة «New» في الانكليزية و«Neu» في الألمانية و«Neuveau» في الفرنسية و«Nova» في الايطالية .. الخ. و«روز» بمعنى اليوم — فلفظ «نوروز» هو «اليوم الجديد» (البيروني، ١٩٦٤: ٢١٥).

والنوروز اصطلاحاً هو أوّل يوم من أيام السنة الجديدة الشمسية (دهخدا، ١٣٣٣: مادة «نوروز»). ويحتفل به في بداية شهر فروردين والموافق للحادي والعشرين من شهر آذار (برهان، ١٣٤٢: مادة «نوروز»).

هو من أعظم الأعياد الإيرانية عبر القرون، ويقع في ٢١ من شهر اذار، ويسمي عندالعرب بيوم الشجرة أو عيد الربيع، وقد أنشد شعراء الفرس والعرب أبياتاً كثيرة حوله منها قول أبي تمام منشداً:

قد شرّد الصبحُ هذا الليلَ عن أفقه وسوّغ الدهرُ ما قد كان من شرّفه
سبقت إلي الخلقِ في النيروز عافية بما شفاهم جديداً الدهرِ من خلّقه

(أبو تمام، ١٩٨١: ٣٨٨)

فقد شبّه الشاعر ممدوحه بالصبح، والصبح رمز الضياء وهو الممدوح وقضائه علي افشين (وهو الليل)، فقال له: كن كالنوروز جديداً، وابدأ حياة جديدة في أيامك،

واجعل النوروز رمزاً للإنسانية، ومن جهة أخرى قدهناً ابن الرومي، عبيدالله بن عبدالله
بمناسبة النوروز قائلاً:

يومُ الثلاثاء، ما يومُ الثلاثاء؟ في ذرورةٍ من ذرا الأيامِ علينا
كأنما هو في الأسبوعِ واسطةٌ في سمطِ دُرِّ محلِّ جيدِ حسناءِ
ما طابَقَ اللهُ نيروزَ الأميرِ به إلا لتلقاه فيه كُـلُّ سِرِّاءِ
جاذتِ يمينك في النيروزِ فائضةً بالمالِ إذ جاذَ فيه الناسُ بالماءِ

(ابن الرومي، ١٩٩٨: ٧٠)

واغتنم البحترى قدوم فصل الورد مع بداية النيروز ليمدح الخليفة المعتز بالله بهذه
المناسبة فأنشده قائلاً:

وافيته و الوردُ في وقتٍ معا ونزلتَ فيه مع الربيعِ النازلِ
وغدا بنيروزِ عليكِ مباركِ تحويلُ عامٍ اثرِ عامٍ حائلِ

(البحترى، ١٩٩٤: ١٠١٤)

أما المتنبي أخذ يمدح ممدوحه ابالفضل محمد بن الحسين بن العميد ويهنته بعيد
النوروز منشداً:

جاءَ نيروزنا وأنتَ مراده وورث بالذي أراد زناؤه
هذه النظرة التي نالها منـ كَ الي مثلها من الحولِ زاده
يثني عنك آخر اليوم منه ناظرٌ أنتَ طرفه ورقاده
نحن في أرضِ فارسِ في سرورِ ذا الصباحِ الذي يري ميلاده
عظّمته ممالكُ الفرسِ حيي كلُّ أيامِ عامِهِ حُسادُه
ماليسنا فيه الأكاليلِ حيي لبستها تلاعُه ووهادُه
عند من لا يقاسُ كسري أبوسا سان مُلكا به ولا أولاده
عربي لسانه، فلسفي رأيه، فارسية أعياده

(المتنبي، ١٩٣٨: ٤٨)

فكشفت المتنبي في هذه القصيدة عن مشاعره وأحاسيسه، وبين ما في نفسه في صراحة وصدق علي أن النوروز خير صلة بين الأمتين الفارسية و العربية، وشارك إخوانه الفرس وهو في أرض فارس بهذا العيد السعيد.

وساهم الشريف الرضي في حبه لعيد النوروز، وأعلن مشاركته مع أفراح الشعب الفارسي، وتأثر بالنوروز كما تأثر من قبله الشعراء، ومدح حمزة بن ابراهيم وهناك بهذا العيد قائلاً:

تلقاك نيروزك المستجد يسر عياناً ويرضي سماعاً
ولا زال دهرك طوع الجنب إذا ما أمرت بأمر أطاعاً
تلاقي الخطوب ثقلاً بطاءً وفرّ الأمان عجالاً سراعاً

(الشريف الرضي، ١٤٠٦: ٢٥٨؛ فروخ، ج ٣: ٥٩)

ومن جهة أخرى أخذ مهيار الديلمي بمدح ممدوحه أباالقاسم الحسين بن علي المغربي عند تقلده الوزارة وهناك بالنوروز، ومطلع القصيدة هكذا:

هل عند عينيك علي غُربِ فرامة بالعارضِ الخلبِ
واطلع علي النيروز شمساً إذا ساق الغروب الشمس لم تغرب
يوم من الفرسِ أتي وافداً فقالت العُربُ له: قُربُ
بات من الإحسان في داركم وهو غريبٌ غير مستغربِ

(الديلمي، ١٩٨٨: ٧٥)

ويري مهيار الديلمي أن النوروز عيد فارسي وفد علي العرب، واستقبله العرب بشوق وإحسانٍ و محبة، حتى أصبح أحد أعيادهم العربية يحتفلون به كل عام كرمز للوفاء، ولقاء بجمع الأمتين الفارسية والعربية في هذا العيد السعيد لتذوب فيها القلوب وتصبح قلباً واحداً نابضاً بالإنسانية كي يعم الجميع الخير والسعادة. أما شعراء الفرس فقد أنشدوا ما أنشد شعراء العرب قبلهم وبعدهم أشعاراً رائعة حول النوروز وفيتنهنة الملوك وسلاطين عصرهم ومنهم العنصرى والمنوتشهرى وغيرهم من الشعراء فمثلاً مدح العنصرى، السلطان محمود الغزنوي بمناسبة عيد النوروز منشداً:

۷۰. النوروز مظهر الثقافة والحضارة بين الفرس والعرب

۱. تا حکم سر سال عجم باشد نوروز چون حکم سر سال عرب ماه محرم
۲. جاوید جهاندار و خداوند جهان باش تو شاد به کام دل و اعدات مغمّم
۳. این عید همایون به تو بر فرخ و میمون تو منعم و آن کس که تو خواهی به تو منعم
(العنصری، ۱۳۶۳: ۲۰۲)

- و مدح المنوچهری، أبا القاسم ممدوحه مدحاً جميلاً وهنأه بعيد النوروز فأنشده قائلاً:
۴. نوروز فرخ آمد و نغز آمد و هژیر با طالع مبارک و با کوکب منیر
۵. ابر سیاه چون حبشی دایه‌ای شدست باران چو شیر لاله ستان کودکی بشیر
۶. مرغان دعا کنند به گل بر سپیده دم بر جان و زندگانی بوالقاسم کثیر
(المنوچهری، ۱۳۷۰: ۴۸)

و وصف المنوچهری النوروز قائلاً:

۷. نوروز روز خرمی بی عدد بود روز طواف ساقی خورشید خدّ بود
۸. مجلس به باغ باید بردن که باغ را مفرش کنون ز گوهر و مسند زندّ بود
۹. نرگس به سان حلقه زنجیر زرنگر کاندر میان حلقه زرین وتد بود
(المصدر نفسه: ۲۹)

وأنشد مسعود سعد سلمان أيضاً قائلاً:

۱۰. خسروا شب‌های عمرت روز باد مهرگان مُلک تو نوروز باد
(سعد سلمان، ۱۳۶۲: ۵۹۸)

وأنشد ناصر خسرو القبادیانی حول النوروز قائلاً:

۱۱. نوروز جوان کرد به دل پیر و جوان را ایام جوانی است زمین را و زمان را
۱۲. هر سال در این فصل برآرد فلک پیر چون طبع جوانان جهان دوست جهان را
(ناصر خسرو: ۱۳۶۷: ۱۷)

وفي أبيات أخرى أنشد هكذا:

۱۳. ندیدی به نوروز گشته به صحرا به عیوق مانند لاله طری را

مهدی ممتحن ۷۱

۱۴. اگر لاله پر نور شد چون ستاره جز او وي نپذیرفت صورتگري را
(المصدر نفسه: ۴۵۸)

وأخذ الأنوري ينشد مشابها لما قاله الشعراء الآخرون موصفاً بالنيروز:

۱۵. روز عیش و طرب و بستان است روز بازار گل و ریحان است
۱۶. توده خاک عبیرآمیز است دامن باد عبیرافشان است
(صفا، ۱۳۷۲: ۲ / ۶۷۵)

وقال شاعر آخر بهذا المضمون وفي ذكره من «العقد الفريد» منشداً:

جعلت فداك للنيروز حقّ و أنت علي أوجب منه حقاً
و لو أهديت فيه جميع ملكي لكان جميعه لك مسترقاً
فأهديت الثناء بنظم شعرٍ و كنت لذاك مني مستحقاً
لأنّ هديّة الألفافِ تفني وإنّ هديّة الأشعارِ تبقى
(ابن عبدربه، ۱۹۴۹: ۲۲۲)

ووصف أيضاً عمر الخيام الشاعر الفارسي في إحدى رباعياته نوروزاً منشداً:

۱۷. چون ابر به نوروز رخ لاله بشست برخیز و به جام باده کن عزم درست
۱۸. کاین سبزه که امروز تماشاگه توست فردا همه از خاک تو برخواهد رست
(خیام، ۱۳۴۴: ۸)

وأيضاً أنشد هكذا:

۱۹. چون لاله به نوروز قدح گیر به دست با لاله رخی اگر تو را فرصت هست
۲۰. می نوش به خرّمی که این چرخ کهن ناگاه تو را جو خاک گرداند پست
(المصدر نفسه: ۸)

فالملاحظ (ت سنه ۲۵۵ هـ) في كتابه المحاسن والأضداد يقول: «أول من بحث حول النوروز واتخذ عيداً وجعله سنة اجتماعية بين الناس هو كياخسرو بن ابرويزجهان»

(الملاحظ، ١٣٢٤: ٢٧٦) وكما قال الكسروي: «أول من أبدع النيروز وأسس منازل الملوك وشيد معالم السلطان واستخرج الفضة و الذهب و المعدن، واتخذ من الحديد آلات وذل الخيل و سائر الدواب و بني القصور، واتخذ المصانع هو كياخسرو بنابرويز» و كما يقال إن سام بن نوح كان ملك الدنيا و أمر أقاليم ايران شهر و كان نيروز هو أول يوم اجتمع ملكه و استوت أسبابه، و النوروز هو أول يوم اجتمع فيه كياخسرو و اتخذه الناس عيداً لهم و أصبح من بعده سنة. و كي نعلم و نتعرف علي كلمه النيروز لغة و اصطلاحاً سنين ذلك موجزاً.

إذن نوروز هو أول يوم من أيام الربيع وفيه تحيا الأرض بعد موتها، فقد استعمل لفظ نوروز في اللغة الفهلوية «نوك روز» (NocRoz) و «نوگ روز» (Noghroz) (كريستنسن، ١٩٥٧: ١٦٢).

وقد استعمل أبونؤاس هذه اللغة أي «نوك روز» في قصائده حينما مدح بهروز الجوسي و قال في مطلع قصيدته:

حماني وصل أبناء القسوسِ نجيب العزّ بهروز الجوسي
فقال بحق المهرجان و نوكرورِ وفرخروز أيسال الكبيس

(أبو نؤاس، ١٩٩٣: ٣٢٠)

وقد أطلق الأرمن علي اليوم الأول من سنتهم اسم «نوسرد» (Navasard) و قد ذكر في كتاب التلموذ البابلي و تلموذ اورشليم أربعة أسماء من الأعياد الفارسية هي «موتردى» (Mutardi) و «تريسكي» (Turyaskai) و «مهرنكي» (Maharne kai) و «مهرن» (Muhren) و «نوسرد» و «تيركان» و «مهرجان» و «نوروز».

و أطلق الفرس علي النوروز اسم «عيد فروردين» و قال أبو الفرج الروني حوله هكذا:

٢١. جشن فرخنده فروردين است روز بازار گل و نسرين است

(صفا، ١٣٧٢: ١ / ٣٢٤)

وسمي النوروز عيد الربيع و أنشد فيه مسعود سعد سلمان قائلاً:

مهدي ممتحن ٧٣

٢٢. اين دولت بين كه جشن دولت پيوسته به جشن نوهااري

(سعد سلمان، ١٣٦٢: ٢١٠)

أما العرب فقد عربّوا هذه اللغة إلى كلمة «نيروز»، وقال الزمخشري في كلامه جاء يوم النوروز والنيروز، وهو علي وزن فيعول واستعمل هكذا:

نورَزَ الناسُ ونورز تٌ ولكن بدموعي
وزكت نارهم والنارُ ما بين ضلوعي

(المقريزي، ٤٤١: ٣٩٦)

واستعملت النوروز أيضاً بالصيغة الفارسية، وقال البحرني منشداً في وصف الربيع:

وقد نبه النوروز في غسق الدجي أوائل وردٍ كنّ بالأمسِ نُوماً

(البحرني، ١٩٩٤م: ١٤٧)

وأطلق عليه أيضاً «هرمز روز» وقال والبة بين الحباب في هذا الباب منشداً:

قد قابلتُنا الكؤوس ودابرثنا النحوس
واليوم هرمز روز قد عظمته المحوس

(الإصفهاني، ١٩٥٧: ١٨ / ٨٣)

وقد استعمل النوشجان الاصفهاني كلا الكلمتين في شعره قائلاً:

فاهناً بنيروز أتاك مبشراً بريعه ويوم هرمز روز

(تقي زاده، ١٣١٧: ٢٩٣)

وأما بشأن نشأة النوروز، يقول العسكري (ت سنة ٣٩٥هـ): في كتابه الأوائل أنّ الفرس قد أجمعت علي أنّ (جم) هو الملك الأول الذي اتخذ النوروز عيداً، وهو الذي بني مدينة طوس و يقول النسابون بأنّ الله تعالي بعث في زمنه هوداً إلي قومي عاد وثمود وولد قحطان أبوالمين، وكان الدين قد تغير قبله فلما ظهر العدل في زمنه سُمّي ذلك اليوم نوروز حتي اليوم وعربته العرب به «نيروز» (العسكري، ١٩٦٦: ٣٢٦).

والفردوسي قد أنشد هكذا في الشاهنامه قائلاً:

٢٣. كه چون خواسي ديو برداشتي ز هامون به گردون برافراشي
 ٢٤. به جمشيد بر گوهر افشانندن مران روز را روز نو خواندند
 ٢٥. سر سال نو هرمز فرودين بر آسوده از رنج تن دل ز كين
 ٢٦. بزرگان به شادي بياراستند مي و جام و رامشگران خواستند
 ٢٧. چنين روز فرخ از آن روزگار بماند از آن خسروان يادگار

(فردوسي، ١٩٧٠: ٢٦)

وأصل النوروز أيضاً هو أن جمشيد قد أمر باتخاذ عجلة من العاج، وفرشها بالدياج، وركب فيها، وأمر الشياطين بحملها علي أكتافهم والذهاب بما فيها بين الأرض والسماء، حتي أقبل عليها في الهواء في يوم واحد، وذلك يوم اورمزد من «فروردين ماه» وهو أول يوم من الربيع الذي هو غرة العام، وشباب الزمان وفيه حياة الأرض بعد موتها فقال الناس: هذا يوم جديد وعيد سعيد وملك عجيب، فاتخذوه عيدهم الأعظم وسموا ذلك اليوم نوروز، وحمدوا الله علي ملكهم جمشيد والبسطة والقدرة (الثعالبي، ١٩٦٣: ١٣).

اما البيروني فقد ذكر في كتابه الآثار الباقية عن القرون الخالية بشأن النوروز: «أن سليمان بن داود لما فقد خاتمه ورد إليه بعد أربعين يوماً وعادت إليه امته، وعكفت عليه الطيور، فقالت الفرس (نوروز آمد) أي جاء اليوم الجديد، وسمي نوروز» (خيام، ١٣٤٣: ٦)، وما إلي ذلك من الأخبار الكثيرة التي وردت عن نشأة نوروز، والتي لا مجال لنا في هذا المقال أن نذكر أكثر من هذا، إلا أن نذكر دليلاً آخر حول نشأة النوروز، وننقل الخير حول ما ادعاه الحكيم عمر الخيام (ت سنة ٥١٥ هـ) بأن النوروز قد أثبتته عن طريق الرياضيات قائلاً عند ما علموا أن الشمس تدور دورتين، الأولى منها ثلاثمائة وخمسة وستين يوماً وربيع يوم، ويوافق دخول الشمس برج الحمل، ولكنها كل سنة تقل مدته، ولم تستطع الوصول إلي برج الحمل، كما كانت سابقاً وحينما أدرك جمشيد هذا اليوم أي وصول الشمس إلي برج الحمل سماه (نوروز)، واحتفل به وأصبحت من بعده سنة سار بها الملوك والناس.

فعمر الخيام خالف جميع الكتاب والمؤرخين الذين سبقوه في كتابه «أصل النوروز» لأن النوروز في نظره حدث كوني، ولعله النظر الوحيد الذي أعطي رأيه دون التعقيد

برأي غيره، أمّا القزويني (ت سنة ٦٨٢ هـ) نقل في كتابه عجائب المخلوقات وغرائب الموجودات عن أصل النوروز أي «فروردين ماه» هو اليوم الأول منه النيروز، وهو أول يوم من السنة واسمه بالفارسية يعطي هذا المعنى، وزعموا أنّ الله تعالى في هذا اليوم أدار الأفلاك وسير الشمس والقمر وسائر الكواكب واسم هذا اليوم هرمزد، وهو اسم من أسماء الله تعالى، وقالوا إنّ الله تعالى قسم في هذا اليوم السعادات لأهل الأرض (القزويني، ١٩٦٣: ١٤١).

٣. علل بقاء النيروز حتي الزمن الحديث

هناك عللٌ عديدة جعلت النيروز يسير عبر التاريخ دون أن يتأثر بأي عامل من عوامل الفناء التي أصابت الأعياد الأخرى وهي:

أولاً: هو عيد الطبيعة ويطل علينا في أول يومٍ من أيام الربيع، فيحمل لنا بهاء الحياة وصفاتها؛

ثانياً: النيروز من أقدم أعياد الفرس التي أصبحت شعائره سنة من سنن الحياة الاجتماعية الإيرانية؛

ثالثاً: من أهميته الاقتصادية، أنّ النيروز هو يوم افتتاح الخراج وتولية الأعمال والاستبدال وضرب الدراهم و الدنانير (الجاحظ، ١٩١٤: ١٤٦).

رابعاً: مشاركة العرب لإخوانهم الفرس في إحياء شعائر هذا العيد مما ساعد علي بقائه؛
خامساً: اهتمام الكتاب والشعراء بتدوين سنن وتقاليد النيروز، وأهمية الشعراء بإنشاد أشعار جميلة حوله، لهذا جعل النيروز مع الزمن حياً وهو مهرجان عمره أكثر من الفين وخمسين سنة.

ولقد قال سلمان الفارسي بشأن تفضيل النيروز: «كنا علي عهد الفرس نقول إنّ الله أخرج زينته لعباده من الياقوت في النيروز ومن الزبرجد في المهرجان، ففضلهما علي غيرها من الأيام كفضل الياقوت والزبرجد علي سائر الجواهر» (البيروني، ١٩٨٦: ٢٢٢).

٤. النوروز عند العرب

لما كان النوروز أحد الأعياد الإيرانية منذ القدم، وكانت له حضارة خاصة بين الفرس والعرب، كانوا غير متحضرين وبدويين قد عاشوا في الصحراء، إلا في اليمن وبعض البلدان الصغيرة، والفرس قد أثروا بحضارتهم هذه علي الأعراب واستفادوا من هذه السنن في حياتهم الاقتصادية والاجتماعية والسبب الوحيد لهذا التأثير هو قرب مدتهم كالحيرة من عاصمة الساسانيين، والتي كانت مشيدة علي ضفاف نهر دجلة.

٥. النوروز و تأثيره في العصر الأموي

لقد اهتمت الدولة الأموية بعيد النوروز، من الناحية الاقتصادية، ولم تشاركهم في إحياء شعائرتهم، لأنّ الشعبية كانت حاکمة آنذاك، وطلبت من الفرس أن يدفعوا هدايا النوروز، كما فعل معاوية وبلغت الهدايا عشرة آلاف درهماً سنوياً واستمرت أخذ الهدايا حتي زمن عمر بن عبد العزيز (الجهشياري، ١٩٣٨ : ٢٧).

٦. النوروز في العصر العباسي

شارك الخلفاء العباسيون الفرس في إحياء شعائر النوروز، وأدخلوا سنته في قصورهم، واعتبروه عيداً رسمياً يحتفل به كل عام، واغتتم الشعراء والخطباء حلول عيد النوروز، ليشاركوا خلفاءهم في إقامة شعائره، لأنّ العباسيين كانوا أكثرهم من الموالي والفرس. ومن سنته إشعال النار وصبّ الماء وتقديم الهدايا وإقامة مجالس الطرب، وكان الشعراء يغتنمون فرصة إيقاد النار، ليعبروا عن أمانيتهم وأشواقهم الصادرة من أعماق قلوبهم لذلك وصف كشاحم نفسه في هذا اليوم في حين أنه قد ابتعد عن أحبائه وفاضت الدموع من عينيه قائلاً:

لما رأيت النوروز سنته صبّ مياه وشبّ نيران
نورزتُ وحدي والشوق يقلقني بنار قلبي وماء أجفان

(كشاحم، ١٩٧٠ : ٤٦٦)

ووصف أيضاً عن إحساسه بمناسبة إضرام النار وصبّ الماء في النيروز في أبيات أخرى
متشوقاً إلى أجبائه منشداً:

كيف ابتهاجك بالنوروز يا سكاني وكلّ ما فيه يحكيني واحكيه
فناره كلهب النار في كبدي وماؤه كتوالي دمعي فيه

(المقريري، ١٩٧٦: ٣٩٦)

وكانت الهدايا تهدي في هذا اليوم، كما كانت تهدي إلى ملوك الفرس، ومن الرسوم
التي كانت تقيم في بلاط ملوك الفرس من الطرب والغناء والموسيقى، قد اقتبست في بلاط
الخلفاء العباسيين أيضاً، فمثلاً نري الخليفة الواثق عبدالله بن العباس قد دعا الربيعي وبعض
الشعراء في يوم نوروز، ولما دخل عبدالله عليه أنشد قصيدة وصنع له لحناً خاصاً قائلاً:

هي للنيروز جاماً ومداماً وندامي
يحمدون الله والوا ثقّ هارون الإماما
ما رأي كسري أنوشر وان مثل العام عاما
نرجساً عضّاً وورداً وبهاراً وخزامي

(الاصفهاني، ٢٠٠٠: ١٩ / ١٨٤)

فطرب الواثق واستحسن الغناء وشرب عليه حتى سكر وأمرله بثلاثين ألف درهم
وأنشد عبدالله بن العباس أيضاً في أبيات أخرى حول النيروز قائلاً:

باكر صبوحك صبحة النيروز واشرب بكأسٍ مُترعٍ وبكوز
ضحك الربيع إليك عن نوّاره آس ونسرّينٍ و مرمّاحوز

(نفس المصدر: ١٧٥)

وكتب أيضاً ابن العباس إلى محمد بن الحرث مهنتاً بيوم النيروز قائلاً:

أسقني صفراء صافية ليلة النيروز والأحد
حرّم الصوم اصطب احكما فتزود شربها لغد

(نفس المصدر)

وجعل ابن الحجاج للنوروز حقوقاً ورسوماً، وهو أن يقضي سحابة ليلة وهو غارق في السكر حتي الفجر فأسمعه ينشد:

يا مَنْ حقوق النيروز تلزمه اسمك يوم النيروز مشهور
فاسكر من الليل واصطبج سحراً غداً تراني وأنتَ مخمور
واستنطق الزبر أتي رجلٌ يعجبني ما يقوله الزبرُ

(نفس المصدر)

ونري أنّ عبدالله بن العباس عند محمد بن الجهم البرمكي بالأهواز يعني بمناسبة النيروز قائلاً:

المهرجانُ ويومُ الاثنين يومُ سرورٍ قد حُفَّ بالزين
ينقل من وَغرة المصيفالي برد شتاء ما بين فصلين
محمد يابن الجهم ومَن بني للمجد بيتاً من خير بيتين
عشاً نيروز ومَهرج فرحاً في طيب عيش وقُرة العين

(نفس المصدر: ١٨١)

فكان للنوروز بعد الإسلام تأثيراً هاماً في جميع البلدان العربية من العراق ومصر ولبنان وسوريا والأندلس وبعض البلدان الأخرى في جميع المجالات الاجتماعية والاقتصادية والسياسية.

فمثلاً يقول حسن ابراهيم حسن في كتابه تاريخ الإسلام السياسي والديني والثقافي والاجتماعي كان لمصر القديم نوروز خاص يسمي «النوروز القبطي» وهو بداية السنة القبطية، وكانت النيران توقد في ليلة النيروز وتوزع الكسوة علي رجال الدولة، وتوزع الرسوم بينهم كما كانوا يتبادلون الهدايا (ابراهيم حسن، ١٩٦٤: ٢٥٣).

ولقد كان النوروز في مصر وفي عهد الفاطميين متفاوتاً عن الأعياد الرسمية الأخرى، فتعطل فيه الأسواق وتفرق فيه الكسوة للرجال والنساء، وتوزع الرسوم والمال علي الناس (المقريزي، ٤٤١: ٣٩٤).

فألف الشعراء الفاطميون حول حلول نيروز قصائد كثيرة، فمن هؤلاء هو تميم بن المعز لدين الله الفاطمي وقد هنا أخاه العزيز بالله الخليفة الفاطمي قائلاً:

أراني اذا هذبتُ فيك قصيدة من المدح وآتاني الكلام المهذبُ
فيمناك غيثٌ في البرية ساكبٌ وعرضك إصباحٌ ووجهك كوكبٌ
فان طاب نوروز وعيدٌ فإتما بنورك أضحي ذا وذا وهو طيبٌ

(تميم بن المعز لدين الله، ١٩٧٠: ٥١)

فنري أنّ النوروز قد أثر من جميع الجهات علي الأديان والاقتصاد والمجتمع، فبالنسبة إلي الإسلام، قد اعتبره موسماً من مواسم الفرح والتجدد، وتؤيد بعض الكتب الدينية بأنّ النوروز من الأيام المباركة، ويستحب أن تلبس الملابس الجديدة وتطيب بأطيب الطيب، ولذلك ابتهج الشعراء المسلمون من الفرس والأعراب بحلول عيد النوروز عيد الطبيعة، عيد المحبة، وأنشدوا قصائد شتي، فأثرالأدب الفارسي علي أدهم بصورة عامة ومنهم ابن الرومي الشاعر الذي يهنئ أحد الخلفاء الأضحى وهو موافق بعيد النوروز قائلاً:

عيدان أضحي ونوروز كأنهما يومٌ سرورٍ قد حُفَّ بالزين
كذلك يوماك يومٌ سيئة دمٌ بردٍ شتاءٍ ما بين فصلين
لله أضحي ونيروزٌ لبستها للمجد بيتاً من خير بيتين
عش الف نيروز و مهرج فرحاً في طيب عيشٍ وقررة العين

(ابن الرومي، ١٩٩٨: ٢٠٥)

وهنا أيضاً أنشد مهيار الديلمي لأبي القاسم. بمناسبة عيد الأضحى الذي قارنه نوروز قائلاً:

في كلّ يوم لك عيدٌ فما يغرب في عينيك عيدٌ أتى
وخذ من الأضحى بسهميك من خطين في آخرة أودني
أجرك مذخورها ذاك والـ نيروز موفور علي حفظ ذا

(الديلمي، ١٩٢٥: ١٢٩)

هذه هي الصورة الدينية التي رأيناها في الشعر والأدب كيف قرن العيد الأضحى بالنوروز وكيف باركوا به.

٧. الناحية الاقتصادية

إنّ الاقتصاد يرتبط ارتباطاً وثيقاً بالنوروز، لأنه هو بداية السنة الزراعية، و بداية فتح الخراج، وجباية الضرائب وتقديم الهدايا التي كانت تقدم إلى الدولة والنصوص التاريخية والقصائد الشعرية هي التي تؤيد هذا الارتباط، وتبين مدى اهتمام الدولة بالنوروز وكيف تزيد الأموال والواردات التي كانت تغدق على خزانة الدولة ومنها البيتان التاليتان اللتان تبينان هذا الأمر:

عجبتُ لفخرِ السّغليّ وتغلبُ تؤدي جزِي النيروز خضعاً رقاها
أيفخر عبد أمه تغليبة قد احضر من أكل الخنايص ناها

(حرير، ١٩٨٢: ٧٦)

فالنوروز هو يوم سعيدٌ للدولة الفارسية وكانت عليها أن تحافظ عليه حتى لا يتأخر أو يتقدم عن توقيته. وحول هذه الخطوة التي أقدم عليها الملوك لأخذ الخراج في النوروز، أقدم عليها المتوكل الخليفة العباسي أيضاً لإصلاح الخراج والنوروز والبحثري ينشد حول ذلك قائلاً:

انّ يوم النيروز عادَ إلى العهدِ الذي كان سنه اردشيرُ
أنتَ حولته إلى الحالة الأُو لي وقد كان حائراً يستديرُ
وافتحتَ الخراج فيه فلأمة في ذلك مرفقٌ مذكورُ
منهم الحمدُ والثناءُ ومنك الـ عدل فيهم والنائل المشكور

(البحثري، ١٩٩٤: ٤٨١)

٨. التأثير الأدبي

أما نري أنّ النوروز قد أثر على الأدب والمجتمع والاقتصاد والسياسة في الدول العربية، ومن تأثيره جاء في الأدبين الفارسي والعربي في أغراض شتى منها الغزل والقصيدة والمدح والمهجاء والخمر وحتى استعمل في النثر، ولنذكر موجزاً في هذا المجال لبعض الأبيات الشعرية والجميل الثرية في الأدبين الفارسي والعربي.

لقد قال الشاعر سوزني السمرقندي وهو شاعر القرن السادس في وصف النوروز وفي غزل جميل منشداً:

٢٨. مشكين كله بر گل نهي اي ماه گلدوز تا در مه دي باز نمایی گل نوروز

٢٩. اي جون گل نوروز به رخسار و به بالا بر سرو سرافراز سرافزاري و فيروز

(السوزني السمرقندي، ١٣٧٣: ٣٢٤)

أما البحثري فقد وصف الربيع والنوروز في غزل بارع قائلاً:

خَرَسَ الثري وتكلم الزهرُ وبكى السحابُ وقَهقه القطرُ

نَشَرَ الربيعُ بُرود مكرمة خضراً يقوم بنشرها الشعرُ

فكَأَنَّ يَوْمَ حَيَاتِهِ سَنَةً وَكَأَنَّ سَاعَةَ لَيْلِهِ دَهْرُ

وَكَأَنَّ صَفْرَ بِهَارِهَا ذَهَبُ وَكَأَنَّ حُمْرَ شَقِيقِهَا جَمْرُ

(البحثري، ١٩٩٤: ٤٦٧)

وأنشد البحثري حائناً أبا نمشل بن حميد علي شرب الخمر أيام الربيع، لأنّ الربيع تجديدٌ للحياة والشباب وعلي الإنسان أن يبدأ حياة جديدة قائلاً:

يَابْنَ حُمَيْدِ عَشْ لَنَا سَالِماً مَا اخْتَلَفَ النوروز والمهرجان

وَاسْتَأْتَفَ العَمْرَ جَدِيداً فَقَدْ وَلَّى زَمَانُ وَأَتَانَا زَمَان

أَمَا تَرِي الأَرْضَ وَأَتَوَاهَا شَقَائِقُ النعمان والأفحوان

قَصَدْتَ فِي النوروز عِرْقاً وَقَدْ تُخَيِّرُ الوَقْتَ وَطَابَ الأَوَان

فَاسْتَعْمِلِ الصَّهْبَاءَ فِي مَجْلِسِ تَسْتَعْمِلِ الأوتارُ فِيهِ القِيَان

(البحثري، ١٩٩٤: ١١٦١)

٩. في النشر

كتب أحد الكُتّاب رسالة في وصف الربيع بقوله «أما بعد، فإنّ الزمان جسدٌ وفصلُ الربيع روحه، وسرُّ حكمة الهية وبه كشفه ووضحه وعمر مقدور وهو الشبيبة فيه و

منهلاً جمُّ وهو غير صافية، ودوحة خضرة، فمن لم يستهو طباعه نسيم هوائه ولم يدرك شفاء دائه في صفا دوائه، ولم يذق لطعم حياته نفعاً ولم يجد لخفض خطّه من أيامه رفعاً» (النوري، ١٩٢٣: ١٧١).

١٠. نتائج البحث

اتضح لن أبانّ الأعياد طقوس معينة يحتفل فيها بمناسبة اتفق عليها جمعٌ من الناس، وهذه المواسم إما أن تكون مراسم دينية أو اجتماعية أو عائلية، فتتسم بطابع خاص، ولذلك تكون أحياناً موافقة بالعصبيات الطائفية، فالإنسان هو العاقل من الحيوانات، يري في جميع هذه المظاهر الطبيعية نشاطاً كلياً يستفيد منه لتنشيط جسمه، وفكره ويعمل بكلّ قواه في فصل الربيع، الذي يبدأ بالنوروز متفتحاً علي الكون والطبيعة. فالنوروز لا يختص باليهود والمسيحيين وهو ليس للمجوس والإيرانيين ولكنه عند كثير من الشعوب كالأوزبكية والتاجيكية.

وتبين لنا كيف ساهم النوروز إلي جانب عوامل أخرى في التواصل والامتزاج بين الأمتين الفارسية والعربية فكان ذلك التواصل يمثل أعظم تجربة اندماجية إنسانية قامت حتي الآن بين شعوب العالم حضارياً وثقافياً ودينياً وسياسياً وبهذا الاتصال الروحي والجسدي والعقلي استطاعوا أن يشيدوا أعظم حضارة إنسانية. بالإضافة إلي ذلك كانت هناك ثمة ثروة أخرى سنّها النوروز للمجتمع في مجال الأدب، ففي هذا المجال كانت تنشُد المئات من القصائد الشعرية الرائعة والتي يتغني بها أصحابها بجمال هذا الأصل وما يواكبه من عطاء وبركة.

١١. ترجمة الأبيات الفارسية بالعربية

١. النيروز بداية السنة للإيرانيين كما أنّ الشهر الحرامّ بداية السنة القمرية.
٢. فيخاطب السلطان محمود دعاء له بطول عمره وموت أعدائه.
٣. ثم يباركه بهذا العيد ويطلب منه الصلة.

٤. جاء النيروز بقدمه المباركة ونجمه الساطع.
٥. ويشبه الشاعر الغيوم السوداء بمربية حبشية ترضع الطفل في حضنها.
٦. وفي الأخير دعا للسلطان في مدحيته ويقول تدعو له الطيور في بقاءه وسلامته.
٧. في هذه الأبيات شبه الشاعر النيروز بالساقية التيسطع النور من وجنتيها.
٨. فيقترح أن يذهبوا إلي الحديقة حتي يتمتعوا من جمال الطبيعة.
٩. ويشبه زهرة النرجس بحلقة ذهبية أحاطت بحلقة ذهبية أخرى.
١٠. الشاعر في هذا البيت دعا للسلطان بطول العمر وبأن يكون كل أيامه فرح مثل عيد النيروز.
١١. النيروز أعطي الشباب لكل الأفراد لأنه جاء بشباب الطبيعة والكون.
١٢. فيشبه الدهر بعجوز يعطي الكون في النيروز الشباب في كل عام.
١٣. في هذين البيتين يقول الشاعر بأن جمال الخزامي الطرية مرهون بالنيروز.
١٤. ومجيء الربيع أعطى الخزامي هذا الجمال والتألؤ.
١٥. يقول الشاعر: اليوم يوم يجب أن نذهب إلي الحدائق والبساتين فتنرح فيه البساتين.
١٦. يصعد من التراب رائحة العبير وينتقله الريح إلي كل الجوانب.
١٧. يقول الشاعر: اليوم الذي غسل الغيم وجه الخزامي بمجيء المطر الربيعي فأنت اهض واشرب كأساً.
١٨. لأن هذه اجمال للنبات الذي تشاهده اليومينيت من ترابك في الغد (كناية عن مضي الدهر بسرعة واغتنام الفرص).
١٩. يشبه الخيام الخزامي النيروزيه بكأس الخمر وينصح المخاطب بشربه مع حبيبة جميلة وفتانة.
٢٠. فيقول: اغتنم الفرصة واشرب بالهناء والفرح لأن هذا الدهر فجأة يحذفك من الكون.
٢١. يقول: هذا المهرجان المبارك لمجيء فروردين (اول الشهر من الربيع في السنة الشمسية) وتعرض الورود والزهور نفسها.

٢٢. يقول: شاهد هذه الفخامة لأنَّ عيد الحكومة تقارنَ بعيد الربيع.
٢٣. يقول: عندما عزموا علي قتل الغول.
٢٤. فجاؤوا إلي الملك جمشيد وانتخبوه كالشاه وانتشروا عليه الجوهر فسمّوا ذلك اليوم بالنوروز.
٢٥. في بداية السنة في شهر فروردين كانوا في هناء ومرح.
٢٦. فاشتغلوا كبار القوم علي الفرحة والخمر والغانيات.
٢٧. فهذا العيد المبارك ذكري من ذاك الزمن.
٢٨. شبه الشاعر البقعة علي رأس السلطان بالبقعة السوداء فوق الورد ويقول أنت في بداية الشتاء تمثل جمال الربيع.
٢٩. أنت في القدر والوجه كالورد الربيعي مع أنك أكثر فخامة من السرو.

المصادر

القرآن الكريم.

- ابن الأثير، أبو الحسن علي بن الكرم (١٩٦٥ م). *الكامل في التاريخ*، بيروت: دار صادر.
- ابن الرومي، قدرى مايو (١٩٩٨ م). *ديوان*، بيروت: دار الجليل للطباعة و النشر.
- ابن عبدربه، أحمد بن محمد (١٩٤٩ م). *العقد الفريد*، القاهرة: لجنة التأليف والترجمة.
- ابن منظور، محمد بن علي بن أحمد (١٩٥٥ م). *لسان العرب*، بيروت: دار صادر.
- أي تمام (١٩٨١ م). *ديوان*، شرح ايليا الحاوي، بيروت: دار الكتاب اللبناني.
- أي نواس (١٩٩٣ م). *ديوان*، تحقيق أحمد عبدالمجيد الغزالي، بيروت: دار الكتاب العربي.
- أنوري، محمد بن محمد (١٣٤٧ ش). *ديوان*، تحقيق محمدتقي مدرس، طهران: چاپ و نشر کتاب.
- البحثري، الوليد بن عبد بن يحيى (١٩٩٤ م). *ديوان*، تحقيق محمد التونجي، بيروت: دار الكتاب العربي.
- برهان، محمد حسين بن خلف تبريزي (١٣٤٢ ش). *برهان قاطع*، حققه محمد معين، طهران: چاپ افست.
- البيروني، محمد بن أحمد (١٩٦٤ م). *الآثار الباقية عن القرون الخالية*، لا.ب: مكتبة المثنى.
- تقي زاده، حسن (١٣١٧ ش). *گاه شماری در ایران قاسم*، طهران: چاپخانه مجلس.
- تيم بن المعز الدين (١٩٧٠ م). *ديوان*، بيروت: دار الثقافة.

- النعالي، أبو منصور (١٠٣٨ م). *فقه اللغة، القاهرة: الاستقامة.*
- النعالي، أبو منصور (١٩٦٣ م). *تاريخ غرر السير، طهران: مكتبة الأسد.*
- الجاحظ، أبو عثمان عمر بن بحر (١٣٢٤ ق). *الحاسن والأضداد، مصر: السعادة.*
- الجاحظ، أبو عثمان عمر بن بحر (١٩١٤ م). *كتاب التاج في أخلاق الملوك، تحقيق أحمد زكي باشا، القاهرة: الأميرية.*
- جرير (١٩٨٢ م). *ديوان، بيروت: دار الكتاب اللبناني.*
- الجهشباري، أبو عبد الله محمد بن عبدوس (١٩٣٨ م). *كتاب الوزراء والكتاب، تحقيق مصطفى الشقا وعبدالحفيظ الشلي، القاهرة: مصطفى الباني.*
- حسن، إبراهيم حسن (١٩٦٤ م). *تاريخ الإسلام السياسي والديني والتقاضي والاجتماعي، القاهرة: مكتبة النهضة المصرية.*
- خيام نيشابوري، عمر بن إبراهيم (١٣٤٣ ش). *نوروزنامه، طهران: مطبعة السرع.*
- خيام نيشابوري، عمر بن إبراهيم (١٣٤٤ ش). *رباعيات، طهران: أمير كبير.*
- دهخدا، علي أكبر (١٣٣٧ ش). *لغت نامه، طهران: چاپخانه دولتي ايران.*
- ديلماني، علي (١٣٣٩ ش). *حشّن های باستانی ايران، طهران: خوريش.*
- الدلمي، مهيار (١٩٢٥ م). *ديوان، القاهرة: دار الكتاب المصري.*
- رودكي (١٣٧٤ ش). *ديوان، به كوشش دبيرسياسي، طهران: سپهر.*
- الزبيدي، محمد مرتضي (١٧٨٥ م). *تاج العروس، بنغازي: دار ليبيا.*
- سعد سلمان، مسعود (١٣٦٢ ش). *ديوان، صححه رشيد ياسمي، طهران: أمير كبير.*
- سوزني سمرقندي (١٣٧٣ ش). *ديوان، به اهتمام دكتور ناصر الدين شاه حسيني، طهران: چاپخانه سپهر.*
- الشريف الرضي، محمد بن الحسين بن موسى (١٣٠٦ ق). *ديوان، مطبعة نخبة الأخبار.*
- صفا، ذبيح الله (١٣٧٢ ش). *تاريخ ادبيات ايران، طهران: فردوس.*
- العسكري، أبو الهلال الحسن بن عبد الله بن سهل (١٩٦٦ م). *كتاب الأوائل، تحقيق محمد السيد الوكيل.*
- عنصري، أبو القاسم (١٩٦٣ م). *ديوان، به كوشش دبيرسياسي، طهران: احمدي.*
- فردوسي، أبو القاسم (١٣١٤ ش). *شاهنامه، طهران: بروخيم.*
- فيليب حتي، ادوارد جرجي (١٩٦١ م). *تاريخ العرب، بيروت: دار الكشاف للنشر.*
- القزويني، زكريا بن محمد (١٩٦٣ م). *عجائب المخلوقات وغرائب الموجودات، القاهرة: الاستقامة.*
- كريستينس، ارثر (١٩٥٧ م). *ايران في عهد الساسانيين، ترجمة يحيى الخشاب، القاهرة: لجنة التأليف والترجمة.*

كشاحم، محمود بن الحسن ابن السنديس (١٩٧٠ م). ديوان، تحقيق خيريه محفوظ، بغداد: مطبعة دارالجمهورية.

المتني (١٩٣٨ م). ديوان، تحقيق عبدالرحمن البرقوقي، القاهرة: مطبعة الاستقامة.
المقريزي، تقي الدين أحمد بن علي (٤٤١ ق). الخطط المقريزية، لبنان: الساحل الجنوبي.
منوچهري دامغاني (١٣٣٨ ش). ديوان، به كوشش محمد دبير سببقي، طهران: زوار.
ناصر خسرو (١٣٦٧ ش). ديوان، به كوشش مهدي محقق، طهران: زوار.